رومية وآثارها الشرقية

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا

(تابع لما في الجزء الحادي والعشرين)

ومما امتازت بهِ ايضاً هذه المدينة كثرة المكاتب القديمة الجامعة لكل نوع من الكتب والمخطوطات النفيسة في اكثر اللغات المتمدنة القديمة والحديثة فان قيام مركز البابوات فيها من اول عهد النصرانية وتوليهم بعد ذلك فيها الاحكام الزمنية ساعد على جمع هذه الكنوز الثمينة وحفظها في مكاتبها الى اليوم ولا سيما ان اكثرهم كانوا من اصحاب الاقلام الذين اشتهروا بنشر راية العلم وتعزيز اركانهِ

ومن هذه المكاتب ما يخص اليوم الحكومة المحلية الايطاليانية التي وضعت يدها عليها يوم دخلت رومية واستولت عليها وقد اضافت اليها الكتب التي وُجدت حينئذٍ في مكاتب اديار الرهبان الايطاليان الذين استولت على املاكهم اذ ذاك فضمتها الى مكاتب المدارس البابوية القديمة حتى تألفت منها مكاتب عظيمة نفيسة غنية بكل نوع من المخطوطات القديمة . ومنها ما يخص بعض الامرآء الرومانيين وبعض الأُسَر الشريفة التي خرج منها بعض البابوات والكرادلة فانشأوا هذه المكاتب باسم أُسرهم وجعلوها مكاتب عمومية يدخلها الجمهور في ايام معينة من الاسبوع للمطالعة في اسفارها وسجلاتها . ومنها ما لا يزال في حوزة البابوات وتحت ايديهم لم تمسهُ الحكومة المحلية الا انها لم تترك منها سوى مكتبة الفاتيكان ومكتبة

البروباغندا . وكل هذه المكاتب العمومية قديمة وغنية بالمخطوطات القديمة اما الجديدة الخاصة الجمعيات العلمية والجماعات الرهبانية فهي كثيرة لا اهمية لها عند اهل البحث بالنسبة الى المكاتب القديمة واهمية مخطوطاتها فان هذه كلها لا تخلو من المخطوطات الشرقية ولا سيما العبرانية والسريانية والعربية. واعظمها واغناها في الكتب الشرقية مكتبة الفاتيكان الشهيرة التي هي اقدم واعظم مكاتب العالم العمومية واغناها بانواع المخطوطات القديمة النادرة ولاسيما الشرقية وبعدها مكتبة الامير بارباريني ثم مكتبة البروباغندا . ومكتبة الفاتيكان يتصل تاريخها باول عهد النصرانية وزمان دخولها الى رومية الا انها كانت حينئذٍ مكتبة دينية محضة كما هو الشأن في كل مدينة قامت فيها كنيسة او جماعة من المسيحيين مؤلفة من راعٍ ورعيّة يتعلمون منهُ تعليم المسيح فكان اول ما دخل الى هذه المكتبة على ما يتبادر الى الذهن الكتب التي وجَّه بها الرسل الى الرومانيين مثل انجيل مرقس ولوقا ورسالة بولس ورسالة القديس اغناطيوس بطريرك انطاكية وهم كلهم شرقيون . الا انها لم تصر مكتبة جامعة لانواع العلوم والفنون الا في أثناء القرن الخامس في عهد البابا ايلاريون الذي يُحسَب مؤسساً لها . وكان مركزها قديماً بقرب كنيسة القديس يوحنا اللوترانية حيث كان مركز البابوات اذ ذاك ولما انتقل مركزهم الى الفاتيكان نُقلت المكتبة اليهِ ولا تزال فيهِ ومنسوبةً اليهِ . وقد اعتنى بامرها البابوات في كل عصر الا انهُ اغناها بوجهٍ خاص البابا نقولا الخامس في القرن الخامس عشر اذ ارسل رجالاً علماء في جهات كثيرة من البلاد يبحثون عن الكتب العزيزة النادرة من جميع

اللغات فجمعوا منها ما لا يقع تحت الحصر ولا سيما الكتب اليونانية التي استصحبها اليونان معهم من القسطنطينية بعد فتحها واتوا بها الى ايطاليا . وكذلك فعل بعدهُ البابا سكستوس الرابع ثم البابا غريغوريوس الثالث عشر وهو الذي ارسل ابيل مطران صيدا اللاتيني الى مصر وسوريا والعراق حيث اقام نحو اربع سنين فجمع من المخطوطات الشرقية شيئاً كثيراً اتى بهِ الى هذه المكتبة وجُعل حينئذٍ في قسم مخصوص بالمخطوطات الشرقية . وقد زاد هذا القسم ووسّعهُ واتقن ترتيبهُ العلامة الشهير يوسف السمعاني اذ كان قيّماً على هذه المكتبة بما استحضرهُ لها من المخطوطات النفيسة في سفراتهِ الكثيرة الى جهات شتى من البلاد الشرقية حيث جمع ما لا تُعرَف لهُ قيمة ولا يقدَّر بثمن الا ان بعضها احترق مع ما احترق من كتبهِ الخاصة وبعضها اتلفهُ ماء البحر والمطر اذ ارسلها من الشرق مع اناسٍ اعاجم لا يعرفون لها قيمة . وهو الذي عمل لها برنامجاً كبيراً مستوفي البيان في موضوع كل كتاب واقسامهِ وفصولهِ وتاريخ مؤلفهِ وناسخه وغير ذلك وقد طبع هذا البرنامج خلفهُ في القيام على المكتبة الكردينال ماي ولم يزد عليهِ شيئاً والى اليوم لم يجدَّد طبعهُ . والقسم الجديد من المخطوطات الشرقية التي دخلت المكتبة بعد موتهِ وُضع لهُ برنامج جديد يشمل ما كان في مكتبة الكردينال ماي المذكور وما اهدي لها من بعض الافراد الشرقيين وغيرهم وما استحضرهُ لها من الشرق المثلث الرحمة المطران يوسف داود اذ كان احد نظارها وأُرسل الى الشرق لطلب المخطوطات القديمة فجمع منها اذ ذاك شيئاً كثيراً وضعهُ في هذه المكتبة وقد وقف لها في وصيتهِ

الاخيرة شيئاً من المخطوطات التي كانت في مكتبتهِ الخاصة

وفي ازمنــة مختلفة أُهدي لبعض الباباوات عدة مكاتب قديمة من بعض الملوك والامرآء عدا مكاتب كثيرٍ من الكرادلة اضيفت كلها الى مكتبة الفاتيكان الاصلية التي صارت بعد ذلك مجموع مكاتب لا مكتبة واحدة تُعرف كلٌّ منها باصولها وبرنامج كتبها

ويبلغ الآن عدد هذه المخطوطات فيها على اختلاف لغاتها نحو ثلاثين الف مجلد من المجلدات الكبيرة اكثرها باللاتينية ويليهـا من المخطوطات اليونانية اربعة آلاف ومن العربية نحو الف مجلد ومن العبرانية خمسمائة ومثلها من السريانية ثم يأتي بعدها المخطوطات الفارسية والتركية والقبطية والحبشية والارمنية الى آخر ما هنالك

اما المطبوعات فلا اقل فيها من مائة وخمسين الف مجلد بل هي ممـا لا يمكن حصرهُ بعدد لانها في ازدياد كل يوم بما يأتيها من الهدايا التي تقدم اليها من الجمعيات العلمية الكبيرة من جميع البلاد الاوربية والاميركية وما يقدمهُ اليها الكتاب الذين يشتغلون فيها بالتأليف او يأخذون عن كتبها او يهتمون بنشر شيء منها بل تجعل هذا رسماً في بعض الاحيان حتى لو أُخذت نسخة كتاب من مخطوطاتها بالفوتغرافية تأخذ منهُ نسختين مع انها لا تطلب غير هذا شيئاً بدل ما تنفقــهُ على عمالها ومدبّريها من الاموال الجزيلة . ويُضاف الى هذه الكتب الهدايا التي تُقدَّم الى البابا ويشترط فيها عندهم ان تكون مجلدة بجلد ابيض كامل وكلها متقنة التجليد ويغلب فيها التجليد المذهب . والكتب المطبوعة موضوعـة في القسم الاسفل (الدور الاول)

من المكتبة في خزائن كبيرة مكشوفة او مطلقة سهلة التناول ويتعهدها بالتنظيف عشرة من العمال عدا الكتاب والنظار المكلفين بمراقبة العمال المذكورين واعمالهم . واما الكتب المخطوطة فموضوعة في القسم الاعلى في ردهةٍ فسيحة عالية مطلقة الهوآء ضمن خمسين خزانة عظيمة مقفلة مصفوفة الى جدرانها وكلها من الخشب الحسن الصنعة مزينة باشكال الرسوم والتصاوير . وتحيط بها من كل جهاتها وفي سقفها صور كثير من الباباوات ومشاهير الرجال وكثير من الوقائع التاريخية مما يخيل للداخل اليها انهُ في عالم من الاحيآء قديم برجالهِ وعلومهِ ووقائعهِ مجتمع في الڤاتيكان الى اليوم الاخير . وفي وسط هذه الدار بعض المخطوطات القديمة العهد كنسخة التوراة اليونانية المعروفة بالنسخة الڤاتيكانية وهي مكتوبة في القرن الرابع ونسخة من منظومات ڤرجيل الشاعر اللاتيني الشهير ونسخة بديعة الخط والتصوير من السنكسار اليوناني المعروف بالنيولوجيون الباسيلي من القرن العاشر وهدايا بعض الملوك التي قُدّمت الى بعض الباباوات ومنها جرن عظيم من الرخام الابيض الناصع أُرسل تقدمةً من المغفور لهُ محمد علي باشا رأس الاسرة الخديوية

وهذه الكتب حسنة الخط على الجملة واضحة الرسم في اصلها الا ان الايام ذهبت منها ببعض الحروف بل ببعض الكلمات وربما ذهبت بصفحات كاملة بحيث انها لا تقرأ الا بعد كدّ البصر والذهن وطول الممارسة بالمراجعة والمقابلة ولا سيما المخطوطات العربية لان كتّاب العرب لم يكونوا قديماً ينقطون كل حروف المعجم كما يفعلون اليوم واول ما وضعوا النقط

كانوا يجعلونها على الحروف التي تلتبس بغيرها مما هي على صورتها دفعاً للاشكال ويتركون الباقي اعتماداً على القرينة

وفي صدر هذه الدار ردهةٌ كبيرة مثل غيرها من رداه الفاتيكان مزينة بكثير من الرسوم وصور بعض الكرادلة الذين تولوا القيام على المكتبة تطل على ساحة واسعة في وسطها بركة ماء كبيرة يصعد منها الماء بنوافر من اربع جهاتها الى علو خمسة او ستة امتار الى حوض عالٍ اصغر منها يتوسط تلك النوافر وينحدر الماء منهُ من كل جوانبهِ اليها . وهذه الغرفة مخصوصة باهل البحث والمطالعة من السيدات وبجانبها غرفة اكبر منها مخصوصة بالرجال وفيها يكون قيّم المكتبة وعشرة من النظار يراقبون الكتّاب ويتعهدون الكتب بحسب اختلاف لغاتها . وفيها ايضاً قوانين هذه المكتبة منشورة باربع لغات يكلف بقرآءتها اولاً كل من يدخلها من اهل المطالعة والبحث ومن قوانينها منع اخراج اي كتاب منها الاّ باذن البابا بحيث لا يقدر ان يسمح بذلك لا قيّمها ولا الكردينال الذي هو رئيسها الشرفي وهذا مما يدل على شدة حرصهم على هذه الكتب النفيسة

ولا يقصد هذه المكتبة الاّ طبقةٌ خاصة من اهل البحث المشتغلين بالتاريخ والماديّات وباقي علوم المتقدمين لتحقيق ما لا يصلون اليهِ من المكاتب العمومية في رومية او في غيرها الا ان عددهم لا ينقص عن مئتي كاتب من ايطاليان وغيرهم وقد يكون الكاتب منهم مستقلاًّ بعملهِ وقد يكون عضواً عاملاً في احدى الجمعيات العلمية مقيماً في رومية وقد يكون غريباً عنها موفَدًا اليها من احدى هذه الجمعيات ومأجوراً على عملهِ وفيهم

طائفة من النساخ والمصورين الشمسيين الذين وقفوا ايامهم لمثل هذه الاعمال بأجرة او اجر . وفيهم ايضاً عدد عظيم من المستشرقين الاَّ انهُ لا يوجد من الشرقيين سوى ثلاثة احدهم الفقير كاتب هذه الرسالة ابحث فيها عما لهُ شأن في تاريخ طائفتنا الروم الكاثوليك غير مكافٍ ولا مأجور من احد سوى الله الموفق الى كل خير وصلاح

استصحاب الاكسيجين في المناطيد

من المعلوم ان الهوآء تقلّ كثافتهُ كلما ازداد ارتفاعاً عن سطح الارض وبالتالي تقلّ كمية الاكسيجين فيهِ حتى لا يعود كافياً للتنفس ولذلك اذا ارتفع الانسان الى ٥٠٠٠ متر فما فوق يضعف فعل الاكسيجين عن حاجة الدم واذا استمرّ في صعودهِ فقد ينتهي امرهُ بالاختناق كما يعرض لمن كان في اسفل بئرٍ مثلاً والسبب في كلتا الحالتين واحد . وقد اخترع المسيو پول بير طريقةً لتعديل التنفس في الاماكن التي قلّ هوآؤها فعمل لذلك جهازاً يُتنفس بهِ الاكسيجين بواسطة انبوبة مرنة ذات فمٍ يوضع بين الشفتين . لكن وُجد ان هذه الطريقة لا يتمّ بها التنفس على حقهِ لان الانسان يعتاد منذ مولدهِ ان يتنفس من انفهِ لا من فيهِ واذا تنفس من فيهِ لا يملأ الهوآء المتنفَّس الا تجويف الفم وكثيراً ما يُدفَع الى الخارج دون ان يدخل الرئتين . ولذلك اخترع المسيو كايتّاي جهازاً آخر وافياً بالغرض وهو يتركب من اناءٍ من الزجاج يُملأ من الاكسيجين السائل وهذا الاناء ذو جدارين احدهما يستبطن الآخر وما بينهما مفرَّغ من الهوآء لمنع وصول